مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (5) العدد (6) 2021
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (6) 2021

الاغتراب الاقتصادي في روايتي
بلد واحد هو العالم ورسمت خطاً في الرمال لهاني الراهب

أ. د. أسمهان عزيز صالح*
د. بشير مطيع ناصر**
نور محمود ليلى***

(تاريخ الإيداع 22 /2 /2021. قُبِل للنشر في 6/27 /2021)

□ ملخّص □

رصدت روايات هاني الراهب أشكال الاغتراب كلَّها، ولعل أبرزها الاغتراب الاقتصادي الذي تجلى في اغتراب العامل عن عمله وعن مردود عمله، في ظل المجتمع الرأسمالي والظروف القاسية التي أثرت في شخصيات الراهب وشعورها بالغربة ؛ فجاء هذا البحث تقصياً لظاهرة اغتراب العمل أو الاغتراب الاقتصادي وأثر هذه الظاهرة في شخصيات هاني الراهب.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الاقتصاد، العمل.

* أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة طرطوس– طرطوس–سورية.
** أستاذ مساعد– قسم اللغة العربية –كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة تشرين– اللاذقية –سورية.
*** طالبة دراسات عليا(ماجستير)– قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة طرطوس–طرطوس–سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (5) العدد (6) 2021
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (6) 2021

The economic alienation in Hani Al-Raheb's novels (The world is one country,I drew aline in the sand)

Dr. Asmahan Aziz Saleh *
Dr. Basher motee Naser **
Nour Mahmoud Laila***

(Received 22/2 /2021. Accepted 27/6/2021)

□ ABSTRACT □

Hani Al_Raheb's novels have examined all sorts of alienation. Probably the most featured one is the economic alienation which is reflected in the alienation of the worker from his work and its yield in the light of the capitalistic system and harsh conditions which has affected his characters and thier feeling of alienation.
Thus, this research is to explore the alienation phenomenon and its effect on Hani- Al_Raheb's narrative characters.
Keywords:alienation,economy,work.

.*professor,Department of Arabic,faculty of Arts and Humanities,Tartous University,tartous,Syria
**Assistant professor,Department of Arabic,faculty of Arts and Humanities. teshren University,Latakia, Syria
***Post graduate student,Department of Arts and Humanities,Tartous University,tartous,Syria.

المقدمة:

جسد هاني الراهب في رواياته ملامح الاغتراب الاقتصادي من خلال شخصيات عدة، أهمها شخصية الأستاذ الجامعي الذي سافر خارج بلاده ليتلقى أجره بالدولار ويحسن معيشته ليعمل في مكان لا يحبه ولا ينتمي له. كما يبين اغتراب العامل عن مردود عمله من خلال شخصية علوان الذي يمثل البرجوازية الصغيرة، وسعيه جاهداً وراء المال لشراء منزل، ولكن أحلامه تسقط في مواجهة مع الواقع الذي يتمثل بانخفاض أجره وارتفاع الأسعار، فيصبح امتلاك منزل حلماً بالنسبة إليه، فيتأزم وجوده من خلال صراعه بين مبادئه ورغبته الشديدة بالملكية التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالطرق غير المشروعة المنافية لأخلاقه؛ فيقع في متاهات اغتراب النفس.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في إبراز أن الاقتصاد والعمل من أهم أسباب اغتراب الإنسان، وهو الجزء الأكبر من راحته النفسية واستقرار وجوده، لذلك فإن وجود الفجوة بين العمل ومردود العمل يخلق نوعاً من الضيق والشتات يعززان شعور الاغتراب في عالم لا يحترم إمكانياته ولا يتيح له المكان المناسب لتفريغ إبداعه.

منهجية البحث:

يعد الاغتراب من أهم سمات النفس الإنسانية منذ الأزل، نتيجة ظروف عدة منها: سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية. لذلك كان اعتمادنا في المقام الأول على المنهج النفسي، والاستعانة بالمنهجين الاجتماعي والتاريخي، وذلك باستخدام المنهج التكاملي ككل؛ محاولين بذلك استنطاق النص الروائي ودراسة ظاهرة الاغتراب من جميع مناحيها، والتي أساسها النفس البشرية.

أ- تعريف الاغتراب لغةً واصطلاحاً:

1- الاغتراب لغةً:

- في اللغة العربية:

ورد ذكر الاغتراب في المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة، أغلبها رُد إلى الغربة المكانية وبعض المعاني الاجتماعية، منها ما جاء في لسان العرب:

" غَرَبَ أي بَعُدَ، ويُقال: اغْرُبْ عني أي تّباعَدْ. والغُرْبة والغُرْب: النزوح عن الوطن والاغتراب، والتَّغَرُبُ كذلك، الغَرْبةَ والغَرْبُ: النَّوَى والبُعْد، ونقول منه: تَغَّرَبَ، واغْتَرَبَ، وقد غَرَّبهُ الدَّهرُ ورجل غُرُبُ وغريبٌ بعيد عن وطنه، والجمع غُرَباءُ.

و اغْتَرَبَ الرجلُ نكح في الغرائب وتزوج إلى غير أقاربه، والاغتراب افتعال من الغربة، والغريب الغامض من الكلام، والمُغْرِب: المُبْعدُ في البلاد. والغَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرُبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرّبَ، واغْرَبَ، وغَرّبَهُ وأغْرَبَهُ، نَحّاهُ. "[1]

[1] – ابن منظور، لسان العرب. دار الجيل، بيروت–لبنان، 1988م، مادة "غ ر ب". 966/4

كما نجد في كتاب العين للفراهيدي:

" والغرب: المغرب، والغروب: غيبوبة الشمس، ويقال: لقَيتُه عند مُغيربان الشمس. . والغُرْبَةُ: الاغتراب من الوطن. وغَرَبَ فلانٌ عَنّا يَغْرُبُ غَرْباً أي تنحى. و أغربته وغرّبتُه أي نَحيتُه. والغُرْبَةُ: النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى، وأغربَ القومُ: انتووا. وغايةٌ مغربةٌ: أي بعيدة الشأوِ. "[1]

أما في معجم مقاييس اللغة:

" غرب: الغين والراء والباء أصل صحيح، فالغرب حد الشيء، ويقال: هذا غرب السيف، ويقولون كففتُ من غَربه، أي أكلت حده، وقولهم: استغرب الرّجلُ، إذ بالغ في الضحك. " [2]

و بتتبع المعاجم الحديثة نلاحظ أن المعاني ذاتها، لم يطرأ عليها أي تغيير فيما يخص مصطلح الاغتراب، كما ورد في المعجم الوسيط:

" ((غرب)) الشيء–غرباً: اسوّد– والعين: ورمت مآقيها والشاة والفَرَسُ: أصابهما داءُ الغرب. (غَرُبَ) عن وطنه –غرابةً، وغُرْبة: ابتعد عنه والكلام غرابة غمض وخَفِي فهو غريب. . و(أغرب): أتى بالغريب البعيد عن الفهم، وفي الأرض أمعن فيها فسافر سفراً بعيداً. (اغترب): نزح عن وطنه، واحتد ونَشِط وفلان تزوج من غير الأقارب. . و(استغرب) الرجلُ في الضحك: بالغ فيه، ويقال: استغربت عليه الضحك: اشتد ضحكه وأكثر منه، و–الدمعُ: سال. و–الشيء: وجَدَهُ أو عَدّه غريباً. " [3]

نلاحظ مما سبق أن أغلب المعاجم العربية تجمع على معاني النوى والبعد، والمبالغة والغموض وبالتالي غياب المعنى النفسي للاغتراب.

- في اللغات الأجنبية:

يعود هذا المصطلح بجذوره إلى اللغة اللاتينية " فالأصل اللاتيني لكلمة اغتراب هوAlienatio ويستمد هذا الاسم معناه من فعل AIIENARE بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاع أو الإزالة، وهذا فعل مستمد بدوره من فعل آخر هو ALIENUS ، أي ينتمي إلى شخص آخر، أو يتعلق به. "[4]

كما نلاحظ أن أغلب المعاجم الأجنبية تدور في فلك هذا المعنى:

فنجد في معجم QUILLET للغة الفرنسية يقول:

" اغترب واستلب بمعنى التنازل عن ملكية، المعنى المجازي: فعل الابتعاد عن الآخر وتحاشي ربط علاقات معه " [5]

بينما نجد في معجم لاروس – LAROUSSE الموسوعي يعرفه بأنه:

" الانتقال الإرادي أو القانوني إلى شخص آخر لملكية

---

[1] – االفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق: د. مهدي المجزومي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان– بيروت، 1988م. مادة " غ رب ". 4 /409–411.

[2] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجبل، بيروت–لبنان، 1991م. (باب الغين) 421/4.

[3] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. ط3، 1993. مادة "غ ر ب " ص 671.

[4] – شاخت، ريتشارد. الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، 1980م. ص63

[5] – LOOK: DICTIONNAIRE de La Langue Franaise,Tomel,Libraire,Quillet,Paise,1975,P: 171.

أو حق. . . المعنى المجازي: فعل الابتعاد عن الذات "[1]

ويشرح قاموس أكسفورد–OXford– للغة الإنكليزية:

" فعليّ يغرب ويغترب بصورة بالغة العمومية بالقول بأنهما يعنيان التحويل إلى ما هو غريب أو مفارق أو التحول في العواطف والمشاعر، أو جعل شخص ما كارها أو معاديا، بالإضافة إلى التحول أو نزع الملكية "[2]

من هنا نجد أن لاصطلاح الاغتراب في اللغات الأجنبية عددا من الاستخدامات، وكان شاخت قد أجملها بثلاثة استخدامات هي: "الاغتراب بمعنى نقل الملكية، الاغتراب بمعنى الاضطراب العقلي، الاغتراب بمعنى الغربة " [3]

ومن هنا نجد التفاوت والتباين في المعاني اللغوية لمفهوم الاغتراب بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، مع التوافق في بعض المعاني كالغربة، والبعد، والنوى.

2–الاغتراب اصطلاحاً:

مازال مفهوم الاغتراب يعاني من الغموض، وصعوبة تحديد معنى موحد، " ولكن على الرغم من هذا التباين والاختلاف في الرأي وأسلوب المعالجة، فإن كل المحاولات التي بذلت حتى الآن تدور حول أمور معينة في مفهوم الاغتراب، مثل: الانسلاخ عن المجتمع والعزلة أو الانعزال، والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة "[4]

ب– الاغتراب الاقتصادي في أعمال هاني الراهب الروائية:

يوصف الفن بأنه أعلى شكل من أشكال العمل في تملك الواقع، ويشكل الاقتصاد عصب الواقع والعمل لذلك كان الاقتصاد من أهم مسببات الاغتراب أو نفيه في حياة الإنسان.

ويعد كارل ماركس من أبرز الذين فَصّلوا مصطلح الاغتراب الاقتصادي وحددوا معالمه، فهو الذي ربط الاغتراب بالعامل والعمل وما يحيط به من ظروف سيئة متمثلة بالمجتمع الرأسمالي، والظروف الإنسانية التي تحيط به، فكان العامل " كلما اشتغل أكثر، تقاضى أجرةً أقل *وذلك لمجرد أنه بقدر ما يكثر عمله، يزاحم رفاقه في العمل، ويجعل منهم مزاحمين له يبيعون أنفسهم بشروط سيئة كشروطه، ولأنه، في آخر المطاف، يزاحم نفسه بنفسه، يزاحم نفسه بوصفه عضواً من أعضاء الطبقة العاملة "[5]

---

(1) – LOOK: Grand Larousse de La Langue Francaise,volume!,Libraire Larouses,Paris,1971,P: 118.

(2) – oxford dictionary,oxford university press,sixth edition,p: 29.

كما ينظرشاخت. الاغتراب ص 65

(3) – شاخت، ريتشارد. الاغتراب، ص 64–65

(4) – النوري، قيس. الاغتراب اصطلاحا ومفهوما واقعا. (مجلة عالم الفكر، مجلد 10، عدد1، الكويت، 1979م). ص 4

(5) – ماركس، كارل. العمل المأجور ورأس المال. تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1981م، ص 71

* ورد خطأ في المقبوس لا داعي لتكرار كلما الصوب " كلما اشتغل أكثر، تقاضى أجرة أقل "

** ورد خطأفي المقبوس كلمة "بقدر" الصواب " بقدر ما يكثر عمله، فإنه يزاحم رفاقه في العمل "

فيتحول الناس في هذا المجتمع إلى أشياء فاقدة لحسها الإنساني، ولكيانها كمخلوقات قادرة على الإنتاج والإبداع لتسود ظاهرة التشيؤ في ظل الاغتراب الاقتصادي من خلال اغتراب العامل عن عمله وعن مردود عمله. فيفقد العمال شعورهم بذاتهم، وبقدرتهم على الانتماء " فالاغتراب يوجد عندما يكون العمال غير قادرين على السيطرة على عمليات عملهم المباشر، وغير قادرين على تطوير الشعور بالفرص، وبعلاقة وظائفهم بكل إنتاج التنظيم، وغير قادرين على الانتماء للمجتمعات الصناعية المتكاملة؛ وعندما يفشلون في أن يصيروا منهمكين في نشاط عملهم كأسلوب للتعبير الذاتي"[1] لذلك " فحين يغترب العامل عن عمله ويتحول لأداة ينفذ ما يملى عليه لضمان بقائه الوجودي فقط بمعنى التسليم للعمل، وهذا ما بينه ماركس " أن اغتراب العمل يتضمن تسليماً له وهذا التسليم ينقضي انفصاله عن شخصية العامل "[2] فحينما يكف العمل عن أن يعكس شخصية المرء واهتماماته ويقع بدلاً من ذلك تحت سيطرة إرادة غريبة أي تحت سيطرة شخص آخر يغدو العمل مغترباً[3]. وعندما يغدو العمل مغترباً يغترب عامله فالعمل بنظر ماركس " ليس جزءاً من حياته، إنما هو بالأحرى تضحية بحياته، إنه بضاعة باعها لشخص آخر "[4]، ويمكن أن نجمل أربعة جوانب لنظرية الاغتراب الاقتصادي كما بينها ماركس: [5]

1- اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته.
2- اغتراب العامل عن عمله.
3- اغتراب العامل عن الطبيعة.
4- يغترب الإنسان عن منتجاته وعمله وطبيعته ونفسه.

بذلك يكون الإنسان مغتربا عند ماركس كلما اتسعت الهوة بينه وبين كل ما يمت له بصلة بمعنى أن يفقد الإنسان إنسانيته، ويتحول إلى سلعة تُستغل من قبل الحاكمين له؛ سواء في العمل أم في البلاد أم في الطبيعة، ويرد ماركس المستغل الأكبر إلى الرأسمالية وما فرضته على الأفراد من ظروف قاسية، تحول معها الإنسان إلى مغتربٍ يواجه الحياة ويسعى للعيش فقط فاقداً كيانه وجوهره. وقد عانت أغلب شخصيات هاني الراهب الروائية من الاغتراب الاقتصادي نتيجة سيطرة الرأسمالية ،والظروف الأخرى التي عانت منها الشخصيات لذلك سنفرد في هذا البحث لدراسة هذه الظاهرة روايَتين من روايات هاني الراهب هما: (رسمت خطاً في الرمال، وبلد واحد هو العالم)، متقصين ظواهر الاغتراب الاقتصادي فيهما.

ولعل رواية (رسمت خطاً في الرمال) من أكثر روايات الراهب إظهاراً للاغتراب الاقتصادي؛ من خلال شخصية الأستاذ الجامعي الذي يضطر إلى ترك بلاده، والسفر إلى دول الخليج المعروفة بغناها الاقتصادي؛ نظراً لتوافر النفط وثرواتها الباطنية ومردودها الكبير؛ مضطراً بذلك إلى التنازل عن فكره وقناعاته ومبادئه في مقابل أجر يتقاضاه لكي يؤمن لنفسه ولأسرته الحياة اللائقة، وهو الذي يتبنى الفكر اليساري الذي يرى الدولار

---

[1] – شتا، السيد علي. اغتراب الإنسان في التنظيمات الصناعية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر– الاسكندرية، د. ت، ص 35

[2] – شاخت، ريتشارد. الاغتراب ، تر: كامل يوسف حسين، ص 146

[3] – ينظر الاغتراب، ريتشارد شاخت، ص 146

[4] – العمل المأجور ورأس المال، كارل ماركس، تر: إلياس شاهين، دار التقدم ن موسكو، 1891م، ص 26–27.

[5] – الاغتراب في الثقافة العربية، د. حليم بركات، ص 39–40

رمزاً للرأسمالية وهو الآن يتحول إلى سيد له؛ من هنا يظهر أول ملمح من ملامح اغتراب العامل عن ناتج عمله ليبدأ روايته بعنوان " سيدنا الدولار"[1] مستخدماً الضمير (نا) الدالة على الجماعة ليدل على أن الدولار سيد الجميع والجميع عبيد له، ويسعى للحصول عليه، من هنا يتبين لنا اغتراب العامل عن ناتج عمله متمثلة بالعملة المحلية التي فقدت قيمتها تجاه الدولار، كما نجد ذلك في محاورة الأستاذ الجامعي مع ابنه:

" قال ياسر: بابا، بودي ربع دولار.

قلت: يا ولد ! تعرف أن الدولار عملة أمريكية، وتطلب مني ؟ نحن لسنا أمريكيين.

قال: إذا طلبت قروشاً فربما نزلت قيمتها قبل أن أصل إلى بائع الشوكولاته. " [2]

إذن ليس للقروش قيمة في حضرة الدولار، لذلك أصبح امتلاك الدولار الهاجس الأول لدى العامل حتى وإن كان أستاذاً جامعياً، كما يتضح في قوله:

" رغم علمي المكنون بأني جزء من تاريخ ملعون فقد عشت على انتظار أن يطرق بابي يوماً سيدنا الدولار. " [3]

فالدولار هو السيد والمتحكم في حياة الناس يمسك بهم وبأحلامهم فهو السبيل إلى حياة كريمة بعيدة عن العوز والحاجة، كما في قوله وهو الأستاذ الجامعي:

" طمأنني أنني لن أسقط أبداً ما دمت ممسكاً بمئة دولار، ياللعار! مع أنني أنا الذي أمسك بالورقة، وليست هي التي تمسك بي. "[4]

فقيمة هذا الأستاذ الجامعي مرتبطة بالعملة الورقية من فئة الدولار حصراً، فتتحكم بحياته وعمله ليجبر على قبول العمل في جامعة خارج بلاده مكرهاً والتي سماها (بالنفيطية) دلالة على دول الخليج المشهورة بثروتها النفطية " أنت مطلوب للتعليم في جامعة نفيطية جيم " [5]

فيضطر الأستاذ الجامعي للعمل في مكان لا يرغب به فقط من أجل إنتاج أكثر قيمة مادية، ليشعر في داخله أنه أصبح آلة يعمل ما يجب عليه لكي يكسب فقط، " فالإنسان باعتباره ترساً في ماكينة الإنتاج يصبح شيئاً، ويكف عن أن يكون إنساناً. إنه ينفق وقته بعمل أشياء ليس هو مهتماً بها. . وينتج أشياء ليس مهتماً بها، وعندما لا يكون ينتج شيئاً، يجري تبديده أو استهلاكه. "[6]

بذلك يتنازل الإنسان عن مبادئه وقيمه ويغترب عن عمله الذي طالما أحبه ليجبر على العمل في ظروف لا تتناسب مع تطلعاته فقط لينال المال، ويؤمن حياة كريمة له ولعائلته، وعبر عن استيائه بقوله:

" لطالما رأيت نفسي عاهراً في هذه الجامعة النتنة، وتاجراً يبيع أخلاقه وعلمه مقابل حفنة من الدولارات لأناس يذلونه ويهددونه"[7]

---

[1] – الراهب، هاني. رسمت خطاً في الرمال، ص 5

[2] –الراهب، هاني. رسمت خطا في الرمال، ص 5

[3] – الراهب، هاني. رسمت خطا في الرمال، ص 5

[4] –الراهب، هاني. رسمت خطا في الرمال، ص 8

[5] – الراهب، هاني. رسمت خطاً في الرمال، ص 8

[6] – فروم، إريك. ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م، ص 70

[7] – الراهب، هاني. رسمت خطا في الرمال، ص 171

من هنا يبرز اغتراب الشخصية عن العمل، فالعمل في نظره ليس جزءاً من حياته، إنما هو بالأحرى تضحية بحياته، أشبه ببضاعة يبيعها لشخص آخر يسرق ملكاته وجهده من أجل بضع قروش، ويتضح ذلك عندما خاطبه زميله د. ربيع أحمد بقوله:

" الآن أنت مجرد أجير، سيحتقرونك كل يوم أكثر من اليوم السابق لأنهم يدفعون ثمنك.

ليرد عليه:

" وأنا مالي ومالهم ؟ أنا هنا لغرض وحيد واحد: أن أعود لولدي برأسمال صغير يؤمن مستقبلهم. يريدون تنازلات ؟ ليأخذوها طظ هم يحتقرونني، وأنا أحتقرهم أكثر، أنا أبتسم عندما يجب أن أبصق. أقبل عندما يجب أن أحتج، أمدح عندما يجب أن أشتم. أتلمظ عندما يجب أن أتقيأ. هؤلاء ليسوا أهلا للمواقف المبدئية وأنا فاوست العربي الذي باع روحه للبترودولارات "[1]

يتضح هنا عمق اغتراب المتكلم عن عمله، وما يفرض عليه فيشبه نفسه بفاوست الذي باع نفسه للشيطان لكنه هنا باع نفسه لهذه الدول النفطية التي تسلب منه روحه وحريته في سبيل الحصول على هذه الدولارات ليكون في هذا العمل مجرد ((أجير)) أي يؤتمر بأمر صاحب العمل وينفذ ما يُملى عليه دون أي اعتراض أو نقاش، فيشعر العامل بالانفصال عن نفسه وآماله وما تحمله تطلعاته في سبيل الحصول على المال فيشعر بالاغتراب عن عمله " فحين يغترب العمل تغترب أصالة الإنسان: إنسانيته، وتصبح العلاقات بين الناس علاقات تنافر وتغارب "[2] وهذا ما كان جلياً قوله عن علاقته بمرؤوسيه في العمل، هي علاقة مادية صِرف بقوله (أبتسم عندما يجب أن أبصق، أقبل عندما يجب أن أحتج. . .)فيفقد ألفته مع العمل، ويعمل لغرضٍ واحد وحيد هو الحصول على المال، ولكنه في دخيلة نفسه يتمنى أن يكون في المكان الصحيح الذي يطمح إليه، ويُعامل على أساس قيمته الحقيقية كإنسانٍ وكأستاذٍ جامعي ألا يشعر بهذا الاغتراب، يقول:

" في سرحة من سرحات الحلم والأماني، رأيتني أعود إلى القسم، فأرى تلك الوجوه وقد عوفيت، ولسان حالها يقول، مثلما يقول لسان حالي: " يا قوم !يا جماعة ! أنا لا أريد مالاً. أريد فقط رشة حب على قلبي. ابتسامة فيها حنان. حديثاً من عقل إلى عقل. إحساساً بالأمان عندما أقول الصدق. أنا لا أريد مالاً لا يرافق هذا الفرح. "[3] فكل ما يرغبه هو الاحترام والتعامل بشكل إنساني راقٍ، ليشعر برغبته برفض المال مقابل شعوره ببعض الحب ممن حوله في العمل " فاغتراب العمل وضياع فوائده الخلاقة، بسبب من وجود قوى خارجية تُملى على صاحب العمل وتستلبه عن نفسه وأحلامه وقناعاته، يخلق أوهاماً معيارية من الحاجات والقناعات المغايرة والمغربة "[4] فيكون العمل عامل غربة واغتراب، ومستلباً لجهود العاملين وكفاءتهم مقابل إرضاء صاحب العمل والحصول على المال.

اغتراب الأستاذ الجامعي الاقتصادي

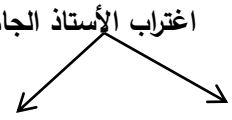

[1] – الراهب، هاني. رسمت خطا في الرمال، ص 85

[2] – ناصر، بشير. واقعية الإبداع وجماليات الواقعية من منظور الاغتراب وقهر الاغتراب، ط1، ص 29

[3] –الراهب، هاني. رسمت خطا في الرمال، ص 100

[4] – ناصر، بشير. واقعية الإبداع وجماليات الاغتراب من منظور الاغتراب وقهر الاغتراب، ط1، ص 47

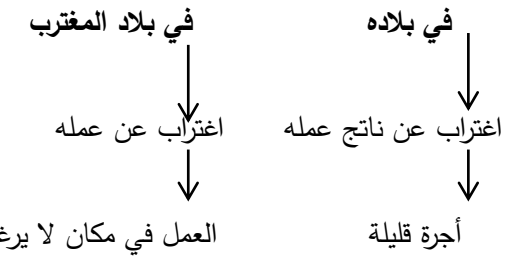

كما نلمح مظهراً من مظاهر الاغتراب الاقتصادي في رواية الراهب " بلد واحد هو العالم " التي تجسد البرجوازية الصغيرة وما تعيشه من صراع طبقي بسبب سيطرة الفئة التي تملك رؤوس المال على آمال الطبقة الفقيرة وأحلامها، ليبدأ الراهب روايته بفصل معنون ب (برجوازيان صغيران) يتمثلان بالزوجين (علوان ونازك) اللذين يسكنان بالأجرة في أحد الأقبية. فقررا عدم إنجاب الأطفال إلى حين استلام بيتهما((الاشتراكي)) التابع للجمعية السكنية، ولكن الجمعية تأخرت في إنجاز البيت، على الرغم من أن أقساطها في ارتفاع مستمر، مما أدى إلى صرف دخله القليل على الجمعية فحرم وزوجته من أبسط متطلبات الحياة " كان اشتراكه في جمعية تعاونية سكنية يمتص دخله المجهري على الدوام. وعلى الدوام كان مضطراً إلى شتى الحيل والأساليب كي يعطل أرخص سلعة وأجملها على الإطلاق: ولد، ذكراً كان أم أنثى. لقد صمما على عدم الإنجاب ما داما في القبو. وهل ينجبان ولداً يتهمهما في المستقبل بأنهما لم يورثاه غير الرومانتزم؟ "[1]

ليصطدم علوان بالحياة وما تحمله إليه من مصاعب بسبب راتبه الزهيد وتمسكه بأخلاقه الاشتراكية التي تمنعه من أن يحيد عن الطريق. " هل يملك الإنسان سبعين سنة من هذا الدهر كله ليعيشها راكضاً لاهثاً وراء اللقمة، الفراش، القميص، وراء ألف حاجة تافهة وحاجة ؟ أهذه هي الحياة؟ أهذا هو كل شيء في عمر الإنسان ؟ حياة، أم عيش وكفى ؟ "[2]

هكذا يعيش علوان راكضاً وراء لقمة العيش تاركاً الحياة تهرب من بين يديه فيشعر بالاغتراب عن هذا العالم لتدني قيمة البشر مقابل ارتفاع قيمة المال، فيصطدم مع مبادئه، ومع ما تتطلبه الحياة المعاصرة، يقول:

". . . أحاول أن أعيش بصدقٍ إيقاعات النفس وإيقاعات الحياة. يأتون إلي ويقولون أدفع أربعين ألفاً لأجل بيتك بيتك الاشتراكي. وهناك زيادة محتملة بعد تسليم الشقق. ارتفعت الأسعار في العالم. ليس في العالم رؤى. فيه أسعار وهي ترتفع، ترتفع فينخفض البشر. يجب أن أكيف نفسي مع الأسعار، لا مع الرؤى. " [3]

ربما في هذا القول مظهر واضح من مظاهر اغتراب العامل، نتيجة ارتفاع الأسعار وتدني قيمة الأجرة، فيقع (علوان) في صراع وصدام مع آماله مع واقع الحال المتردي، وهذا ما أشار إليه كارل ماركس في كتابه " العمل المأجور ورأس المال"، يقول:

" إن حصة الرأسمال، الربح، ترتفع بقدر ما تهبط حصة العمل، الأجرة اليومية، والعكس بالعكس إن الربح يرتفع بقدر ما تهبط الأجرة، ويهبط بقدر ما ترتفع الأجرة. "[1]

---

[1] –الراهب، هاني. بلد واحد هو العالم، ص 13

[2] – نفسه، ص 18

[3]– نفسه، ص 20

فعلوان هنا ضحية المجتمع البرجوازي، وسيطرة البرجوازية على الإنتاج والعمل، مستاءً من واقع هذا المجتمع:

" ولكن نحن – الذين خارج العصور. ما هي أسس علاقاتنا، ونحن خارج الرأسمالية وخارج الاشتراكية. وتتوس بين بقايا ومخلفات العصور؟ علاقة الإنسان بالإنسان، والإنسان بالمجتمع، وبالوطن. من الذي يملك الوطن ؟ الذي لا بيت له فيه ؟ أو جارود أبو خليل ؟ أو أناس لا نعرفهم ؟ " [2]

فأساس هذا المجتمع على من يملك أكثر، ومن لا يملك فلا قيمة ولا سلطة له، من هنا جاء شعور علوان بالاغتراب وهو لا يملك حتى سقفاً يأويه. وطلب أبو خليل (السمسار) منه التخلي عن القبو الي يستأجره للدكتور جارود لقاء خمسة وسبعين ألفاً. فيرفض علوان ويعدها مساومة رخيصة تمس مبادئه وأفكاره الاشتراكية، ولكن نازك تُصر عليه للحصول على المال والإسراع في استلام بيتهما الاشتراكي ليقع اختياره على حارة نائية هجرها سكانها لأن البلدية ستهدمها وتحولها إلى مجمع سياحي، ليبقى في الحارة الرعاع والفقراء ممن لا مأوى لهم، كما بقي فيها أصحاب الحي –أصحاب المال والنفوذ_ المتمثلون بأم اللولو وزوجها سلطان؛ فتشكل هاتان الطبقتان مثالاً للصراع الطبقي بين الطبقات المسحوقة والطبقات المستغلة، كما يوجد في الحارة من هم على الحياد واضطرتهم الظروف للعيش فيها منهم أم يسير وابنها المصاب بالصرع (الذي يمثل الضمير بالنسبة إلى علوان)، كما هناك سعدون (المثقف) الذي يعد المنظم الثوري للرعاع، والذي يصنف نفسه ضمن الطبقة العاملة:

" إن الضجيج الذي أقلق راحتنا اليوم، تعبير عن أزمتهم هم، وليس أزمتنا نحن المعتدين على أفق التقدم والاشتراكية، يجب ألا يتسرب أي شك إلى نفوسنا في أننا نحن الوارثون، ومأزق سلطان ليس مأزقنا، لأنه أسير عدميته البطريركية الكهنوتية، بينما نحن نخوض معركة الطبقة العاملة، متسلحين بشرطها الكينوني الكلي الصيروري، ومرتكزين على فعاليتها في قاع الوادي المادي "

فالصراع هنا طبقي مادي، صراع بين الفقير والغني، بين من يملك السلطة ومن لا يملك شيئاً، فالبنى الاقتصادية أساس المادة البحتة ربما هذه الرواية تجسيد حي لأسطورة فاوست ل غوته في صراعه بين الخير والشر ولكنه هنا صراع من طراز معاصر، صراع طبقي، وفق السياق الإيديولوجي، فيمثل علوان(فاوست) وصراعه ثم انسياقه خلف الشر (أم اللولو)، وخسارته أخيراً فتصاب نازك (مرغريت) بخيبة أمل، نتيجة انقلاب علوان عن مبادئه، بعد صبرها وتحملها مشقات الحياة معه، بقولها:

" خمس سنين. سنة وراء سنة. نحن: ضد الملكية الفردية ! نحن لنا شرف الموقف وموقف الشرف! والحقيقة أننا أبطال العالم في الخداع الذاتي. أنا أمشي الشارع، ويلهف قلبي لكل منظر تشوفه عيني. أرى طاولة فأتمنى لو عندي مثلها. أرى لوحة فأقول ليس في بيتنا لوحة. الدكاكين. معقول: كل هذه الدكاكين. ونحن لا علاقة لنا بها ؟ عالم كامل. كله جميل ، وكله بحسرتي. "[3]

---

[1] – ماركس، كارل. العمل المأجور ورأس المال، ص 57

[2] –الراهب، هاني. بلد واحد هو العالم، ص 28

[3] –الراهب، هاني. بلد واحد هو العالم، ص 132

تدخل نازك هنا في مرحلة اللوم، لوم علوان، الذي تخلى عن منطلقاته ومبادئه في الحياة طمعاً بالتملك والسلطة فانحاز لأم اللولو ضد الطبقة الفقيرة المتمثلة بالرعاع، لنشهد تحيز علوان للنظام الاقتصادي الماركسي، ويتضح ذلك من خلال حديثه مع زيدون:

" الغريب يا أخ زيدون أن أكثر الناس تطبيقاً لمبادئ الاقتصاد السياسي الماركسي هم الناس الذين قامت ضدهم هذه المبادئ. الرأسماليون والمحافظون. يعني سألتك بالله، إذا كان الاقتصاد أساس الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، ألا يكون أيضاً الجمال والسعادة والحب ؟ " [1]

لكن علوان (فاوست) ينهزم في النهاية أمام القوة التي هي أكبر منه والتي تخلت عنه ليثبت قوة الاقتصاد في السيطرة على كل شيء في الحياة.

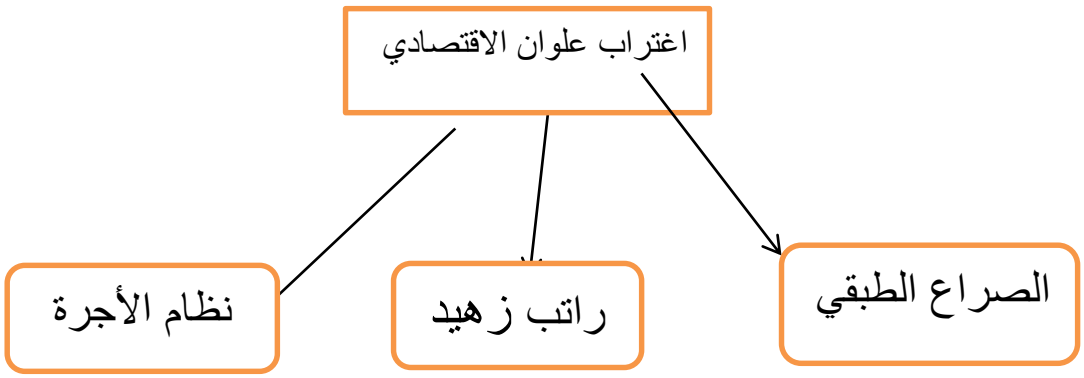

الخاتمة:

هكذا جسدت شخصيات هاني الراهب الروائية الاغتراب الاقتصادي بشكل جلي من خلال شخصية الأستاذ الجامعي في رواية (رسمت خطاً في الرمال)، وشخصية علوان في رواية (بلد واحد هو العالم)، موضحاً ما عانته هذه الشخصيات من خلال اغتراب العامل عن عمله ،وعن ناتج العمل؛ فما كان للعامل سوى الاستسلام للظروف التي فرضت عليه، وما كان لنفسه سوى أن تعيش اغترابها.

و ما خلص إليه البحث أن العامل يغترب عن عمله نتيجة الفرق الشاسع بين جهده والمردود الذي يتقاضاه، ودخله وارتفاع الأسعار التي تواجهه، وكذلك احتكار صاحب العمل للعامل ومعاملته كملكية يتحكم بها كيفما شاء بعيداً عن الأخلاق واحترام إنسانية الإنسان، كما أن وجود العامل في مكان أو عمل لا يرغب به ضمن هذه الظروف القاسية فقط من أجل الحصول على المال خلق فجوة في نفس العامل، كما كان للصراع الطبقي بين البرجوازية والنظام الاقتصادي الماركسي دور كبير في تعزيز اغتراب العامل لتعيش الطبقات الفقيرة اغترابها الاقتصادي وغربتها في سعيها وراء المال وتحكم أصحاب رؤوس المال بهم، ثم تبع ذلك النظام الاقتصادي الجديد في المجتمعات الصناعية، وتحويل الناس إلى آلات فاقدة لأي حس إنساني همها الوحيد الحصول على المال، ليكون الاقتصاد الحاكم والمتحكم في كل مفاصل الحياة على مدى الأزمان.

[1] – نفسه 195

قائمة المصادر والمراجع العربية:

1- ابن فارس. معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجبل، بيروت-لبنان، 1991م.

2- ابن منظور. *لسان العرب*، دار الجبل، بيروت-لبنان، 1988م.

3- بركات، حليم. *الاغتراب في الثقافة العربية*، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 2006.

4- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. *كتاب العين*، تحقيق: د. مهدي المجزومي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان-بيروت، 1988م.

5- الراهب، هاني. *بلد واحد هو العالم*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1985م.

6- الراهب، هاني. رسمت خطاً في الرمال، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت-لبنان، 1999م.

7- شاخت، ريتشارد. *الاغتراب*، ط1، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

8- شتا، السيد علي. *اغتراب الإنسان في التنظيمات الصناعية*، مؤسسة شباب الجامعة، مصر- الاسكندرية، د. ت.

9- فروم، إريك. *ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة*، ط1، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.

10- ماركس، كارل. *العمل المأجور ورأس المال*. تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1981م.

11- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الوسيط*. ط3، 1993

12- ناصر، بشير. *واقعية الإبداع وجماليات الواقعية من منظور الاغتراب وقهر الاغتراب*، ط1، دار الطليعة الحديثة، دمشق، 2009م.

13- النوري، قيس. *الاغتراب اصطلاحا ومفهوما واقعا*. (مجلة عالم الفكر، مجلد 10، عدد1، الكويت، 1979م).

المراجع الأجنبية:

1- DICTIONNAIRE de La Langue Franaise,Tomel,Libraire,Quillet,Paise,1975.

2-*Grand Larousse de La Langue Francaise*,volume!,Libraire .Larouses,Paris,1971

3- *oxford dictionary*,oxford university press,sixth edition.